هادي المدرسي



رسالة المسلم..
انقاذ العالم

دار ومكتبة الهلال



انقاذ العالم

تأليف
السيد هادي المدرسي

دار ومكتبة الهلال
بيروت

الفهرس

الطبعة الأولى
١٩٨٦

دار ومكتبة الهلال

بيروت - حارة حريك - شارع المقداد
ص.ب: ١٥/٥٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين﴾.

صدق الله العلي العظيم.



١
عالم اليوم يعيش الجاهلية الأولى

قال اللّٰه العظيم في كتابه الكريم :

﴿هـو الـذي بعث في الأميــين رسـولاً منهم، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانـوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ .

إن واقع العالم الذي نعيش فيه ـ اليوم ـ يذكرنا بالجاهلية الأولىٰ. تلك الجاهلية التي أنزل اللّٰه فيها كتابه لإنقاذ البشرية من الهلاك الذي كان محتماً بدونه.

فعالمنا اليوم يعيش ـ رغم مظاهر المدنية الزائفة ـ ما يمكن تسميته بالحالة الجاهلية، وهو يحتاج الى العودة الى كتاب اللّٰه العزيز لإنقاذه من الهلاك، الذي يهددنا اليوم سواء في صورة أسلحة فتاكة يصنعها البشر لاستخدامها في يوم، أو في صورة تفسخ المجتمعات وانحلالها.

أما مظاهر الجاهلية المعاصرة هذه، فيمكننا أن نسجلها في النقاط الآتية.

أولاً: سيادة شريعة الغاب على العلاقات الدولية من جهة وعلى علاقات الحكّام بالمحكومين من جهة أخرىٰ. .

ففي عالمنا اليوم، القوي يأكل الضعيف بلا رحمة، وتسانده في ذلك القوانين والأعراف الدولية، فله الحق في أن يظلم من يريد ويصادر الحرية ممن يشاء من دون أن يشار إليه بإصبع اتهام. . لأنه قوي!.

أما الضعيف، فكل القوانين والأعراف الدولية ضده، تماماً كما كان القوي ـ في الجاهلية الأولىٰ ـ يأكل الضعيف، ومع ذلك كانت كل الآلهة « وشرائعها » تسانده وتدافع عنه. ولم يكن للانسان ـ في ذلك العهد ـ حق في الحياة، إلا بمقدار ما

يـرتبط بقبيلة معينة، حتى أن الغـرباء الـذين كانـوا يفـدون الى مكـة المكرمـة ـ في ذلـك العصر ـ لم يكن لهم من الأمن حظ أو نصيب فكانوا يسخّرون من قبل الأقوياء بالاكراه، إلا اذا كـان الواحد منهم حليفاً لقبيلة، فالعشائر لقـوتها هي وحـدها كـانت تملك حق الحياة، وحق الأمن، والرفاهية، وكل موارد الـطبيعة التي خلقها اللّه، كانت تجيّر لهم.

أما الضعفاء، والمحرومون، والفقـراء فلم يكن لهم نصيب في ذلك، فقط لأنهم كانوا ضعفاء وفقراء ومحرومين!.

ومن هنا فإن أول عمل قام بـه النبي محمد (ص) قبـل أن يبعث بالرسالة، لانقاذ المحرومـين والمستضعفين، هـو التحالف مـع بعض الأفـراد، ذوي السيـرة الحسنـة، للدفـاع عن كـل غـريب، واعتبـار الغـربـاء حلفـاء لهم. وهـو الـذي سُميَّ في التاريخ «بحلف الفضول».

أما في عالمنا اليوم فإن الدولة التي لا تتحالف مع الشرق أو الغرب، والانسان الـذي لا ينتمي الى عشيرة أو قبيلة، يعـامل كما يعامل العبيد الأرقاء.

في عالمنا اليوم نجد شركات الاحتكار التي تحتكر كـل شيء من البقـول الى العمال! فهي تقـوم بـاستئجـار العمـال بثمن، وايجـارهم بثمن أغـلىٰ، كـما كـانت العبيـد تشتـرىٰ وتبـاع في الجاهلية الأولىٰ، في أسواق النخاسين.

* * *

ومعاملة الحاكمين والمحكومين ـ في عالمنا اليوم ـ لا تختلف عن طريقة الجاهلية الأولىٰ، فالحاكم يعتبر الأرض والسماء والرمال والانسان من ممتلكاته الخاصة فهي ورثة من أبيه وجده، وله الحق في أن يعطي، وفي أن يمنع، كما كان في عهد الجاهلية الأولىٰ، حيث كان العبيد لا يملكون من أنفسهم شيئاً، فمالكهم هو الذي يقرر أن يعطيهم أو يمنع عنهم، حتى ولو ماتوا جوعاً. وكانوا في نظر الحاكمين لا يستحقون الحياة لأنهم « عبيد» لا ينتمون الى قبيلة أو الى عشيرة.

ترىٰ هل تغير الأمر الآن؟ ألا نرىٰ أنه حتى الديمقراطيات الزائفة ـ في عالمنا اليوم ـ تأتي بقرار من الحاكم، ثم تطير بقرار منه أيضاً. . بل ويقول الحاكم بكل صراحة:

ـ « أنا الذي أعطيتكم الحرية والديمقراطية، وأنا الذي أسلبها منكم! ».

ألم يقل نمرود لابراهيم الخليل، حينما قال له ابراهيم: ﴿ربي هو الذي يحيي ويميت، قال أنا أحيي وأميت﴾.

ثم أمر بمسجونين، فتقاتلا أمامه، فأمر بإعدام واحد منهما، وأطلق سراح الآخر، فقال: أنا الذي أحييت هذا الذي أطلقت سراحه، وأمتّ الذي أمرت بقتله!؟.

وفي عالمنا اليوم، المسجونون لا يملكون من أنفسهم شيئاً، فحرياتهم مقيدة مكبلة، يعذبون في زنزانات ضيقة رطبة، وفي

الحر الشديد القائظ. ولكن الحاكم يعيش مرتاح البال، في القصور المرفهة، واذا حدث أن أطلق سراح مسجون، منَّ عليه بذلك، وكأنه هو الذي يملكه. واذا أبقاه في السجن فهو الذي يملك الحق في ذلك. فهو يحيي وهو يميت!.

* * *

ثانياً الانهيار الخلقي العام.

نستطيع أن نطلق على حضارة هذا العصر بحضارة الانحطاط الخلقي. حيث أصبحت هذه حالة اللا أخلاق هي الحالة الطبيعية في المجتمعات الزائفة.

وإلا فماذا يعني أن في بريطانيا وحدها، يولد مليون « ابن حرام » في كل عام، وفي الولايات المتحدة هنالك ثمانية آلاف سرير مخصص لمرضى الشذوذ الجنسي؟.

إن الانحطاط الخلقي الذي يشجعه الحكام عادة، والذي يعتبر دعامة من دعامات الطاغوت، هو ظاهرة متفشية في كل مكان من الكرة الأرضية. فالخمور في كل مكان من أنحاء العالم، حتى في البلاد التي يدعي الحكام فيها الاسلام، ويعاقرها ويكرعها الحاكم نفسه، كما يعاقرها المفسدون والفسقة.

والفجور بشتىٰ صوره، يمارسه الحاكمون الذين يدعون أنهم محامون عن الاسلام.

إنهم بأنفسهم يمارسون الجنس الحرام، ويشربون الخمرة، ويمارسون كل أنواع المعاصي والفساد، ويتعمدون ذلك. ومن هنا فإن الانحلال الخلقي، ليس مجرد ظاهرة من ظواهر هذا العصر، وإنما هو أيضاً وسيلة متعمدة، يمارسها الحاكمون في كل مكان، لقصد تحقيق اللذة من جهة، وتخدير الشعوب لكي لا تثور عليهم من جهة أخرىٰ.

إنهم لا يستطيعون أن يمنعوا الناس من المطالبة بحقوقهم، إلا عن طريق تزييف اللذة لهم، وملأ رؤوسهم بكل لذة خسيسة في هذه الحياة.

فإذا كان الشاب مبتلى بالهيروئين، والحشيش، والجنس، والخمرة، وما شابه ذلك، فهل ننتظر أن يفكر في مستقبله أمته؟.

ومن هنا نرىٰ الظالمين، يشيعون الفساد بتعمد، لتحقيق مآربهم السلطوية ولا يتأتىٰ ذلك إلّا بتخدير الشعوب، صحيح أن الحكام الظلمة قد يعاقبون على المخدرات ولكن ذلك أمر ظاهري فقط. إذ أن هناك في جهاز الدولة، من يبيع المخدرات ويتاجر بها على مستوىٰ البلاد كلها.

وفي إيران ـ أبان عهد الشاه ـ كان المقبور قد سنّ قانوناً بإعدام كل من يوجد بحيازته غرامين من الهيروئين، في الوقت الذي كانت أخته أشرف بهلوي تدير أكبر شبكة للتجارة بالمخدرات ولذلك كان يزداد عدد المدمنين يوماً بعد يوم حتى

بلغ عددهم أكثر من مليوني انسان، كل هدفهم وسعيهم، هـو الحصول على مقدار بسيط من الهيروئين أو الحشيش.

وهؤلاء لم يشتركوا ـ مطلقاً ـ في مظاهرة ثـورية، أو مسيـرة شعبية، ولم يقاوموا حكم الشاه. إذ كيف يقـاوم الطاغـوت من امتلأ مخّه بالهيروئين والكحول؟!

ثـالثاً: اختـلال التوازن في المجتمعـات، وانتشـار ظـاهـرة الطبقية وظهور طبقة المستكبرين الى جانب طبقة المستضعفين.

نحن لا يمكن لنا أن نسمي هاتين الطبقتين بالبـورجوازيـة والبـروليتاريـا على التـوالي، إذ أن هذين المصـطلحين، ولـدتهما النـظرة الأحـاديـة الاتجـاه، وهي النـظرة المـاديـة التي تـرىٰ أن الاقتصاد هو محور الصراع ومحرك التاريخ، وبالتـالي فإن هـذين المصطلحين ليسا اسلاميين على وجه الاطلاق.

أما في النظريـة الاسلاميـة ـ إن صح التعبيـر ـ أو القانـون الاسلامي، فهنالك طبقة مستكبرين، وطبقة مستضعفين.

فالفقير قد يكون مستكبراً، والغني قد يكون مستضعفاً.

فإذا كان الفقير جزءاً من جهاز الحاكم الظالم، أو عضواً في مخـابرات الـطاغـوت، أو عـاملاً في شـرطة قمـع الانتفـاضـات والمـظاهـرات الشعبيـة، ومـا أشبـه ذلـك، فـإنـه من طبقـة المستكبـرين. وإذا كان الثـريّ يقف الى جـانب المستضعفـين، ويعـطي أمواله في سبيل نجـاح الثورة، ويسـاعـد المسجـونـين

والمعتقلين، وعوائل الشهداء، فإنه من طبقة المستضعفين.

وبكلمة نقول:

إن كل من يقف الى جانب الحق هو من طبقة المستضعفين، كما أن كل من يقف الى جانب الباطل، هو من طبقة المستكبرين.

وفي العالم - اليوم - وفي كل مكان منه، هنالك مستكبرون، همهم الوحيد مصالحهم وملذاتهم وعروشهم، وأن يكونوا أعلىٰ من بقية الناس، وأن تكون لهم الحرية التي يسلبونها من الناس.

ومن هنا فإن المستكبرين - في الحقيقة - هم مجموعة لصوص يسرقون حرية الناس، لكي يملأوا حياتهم بالحرية، وليمارسوها كما يريدون، أما الآخرون فليذهبوا الى الجحيم!.

إن السارق قد يسرق منك ديناراً، وبامكانك أن تجتهد لتحصل على بديل له. ولكن اذا سرق منك الطاغوت حريتك، فكيف تسترد الحرية؟ انها ليست قضية بسيطة يمكن التنازل عنها، بل هي قضية مصيرية بالنسبة للانسان.

ولننظر الى ما يفعله المستكبرون والطغاة في حق الشعوب.

إنهم حينما يعتقلون شاباً، لأنه قال ربي اللّٰه، ورفض أن يعمل معهم، فهم يفعلون ذلك لكي لا يحاسبهم أحد، ولا ينالهم رفض أو انتقاد.

ألا نرىٰ في بلادنا المئات من الشباب والشيوخ والنساء وحتى الأطفال يتعرضون للاعتقال في الزنزانات الضيقة، ويعذبون وتسرق أموالهم لكي يعيش الحاكمون كما يريدون؟

وقد يسأل سائل:

ولماذا يكون كذلك؟

فتقول السلطات إن هؤلاء يرفضون الحاكم، ولابد أن يسجنوا ويعذبوا.

ونحن نقول:

نعم إنهم أحرار، وهكذا خلقهم اللّه، فهم يرفضون الحاكم ما دام عميلاً وظالماً ومستكبراً. ولهذا السبب يقوم الطاغوت باعتقالهم وتعذيبهم، وسرقة حريتهم، لكي يسرق وينهب ويمارس كل حرام، لا يحاكمه أحد ولا يطاله نقد.. وليكن فوق القانون، لا يمسّ ولا يدس.

وكما أنه في عصرنا مستكبرون ومستضعفون، كذلك كان في عهد الأنبياء والمجتمعات التي أرسل اللّه فيها نبياً وكتاباً، إذ كان هناك صراع بين هاتين الطبقتين، وطالما يوجد حق وباطل، فلابد أن توجد طبقة المستضعفين وطبقة المستكبرين، ويكون الصراع قائماً بينهما.

* * *

رابعاً: الابتعاد عن الايمان والمثل والقيم، ونسيان يوم الحساب.

هنالك الكثيرون ممن يعمل بوحي من غرائزه وشهواته، وهؤلاء يلغون العقل والضمير، ونسيان الآخرة، نتيجة الغاء العقل والضمير، وهي ظاهرة منتشرة في هذا العصر. إذ أن الكثير من الناس يتناسون يوم الحساب، والجنة والنار، ومن ثم يتذكرون أن لهم رباً وخالقاً، ويعملون كما يريدون، وهكذا يعيش هؤلاء في سبات عميق.. وكما يقول الحديث الشريف:

«الناس نيام، إذا ماتوا انتبهوا».

ولكن، دعنا نتساءل:

أين شاه ايران المقبور؟

أليس هو ـ الآن ـ نادم على ما فعل

ألا يصرخ ـ الآن ـ وهو تحت سياط ملائكة غلاظ شداد قائلاً:

﴿ربي أرجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾؟

وألا يجيبه ملائكة العذاب: كلا انها كلمة هو قائلها؟

انه لو لم يتناسى هذا اليوم الأسود الذي هو فيه، يوم كان جالساً على عرش الطاووس، لما ارتكب الجرائم التي ارتكبها ولا قتل من قتل، ولا عذب من عذب!.

ولو تذكر الظالمون اليوم، ولاجوزتهم هنا وهناك اليوم الأسود الذي ينتظرهم عند اللّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ يوم يقوم الناس للأشهاد، يوم يقال لجهنم: هل امتلأت وتقول هل من مزيد، يوم يرمون في نار سجّرها جبارها لغضبه، يوم تشوىٰ وجوههم، وتكوىٰ جباههم وجنوبهم وظهورهم. . لو تذكروا كل ذلك، لتركوا الآن جرائمهم، ولانضموا الى صفوف المستضعفين، ولكن ملئت بطونهم من الحرام فنسوا ذكر اللّه وسيتذكرون ذلك اليوم ليعض الظالم على يديه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً!.

* * *

ومن القيم التي يتناساها بعض الناس: الدفاع عن المظلومين، ومراعاة الأيتام، والدفاع عن الثوار، ومساعدة الثوار.

ها هي الأحاديث الشريفة تؤكد لنا حقيقة الالتزام بهذه القيم والمثل، فتقول:

« من سمع منادياً ينادي بالمسلمين فلم يجبه، فليس بمسلم ».

« من بات شبعاناً وجاره جائع، فليس بمسلم ».

إن القيم والمثل العليا كثيرة في هذه الحياة، فالصدق ومراعاة المظلومين والدفاع عنهم والثورة ضد الظالمين، ومجابهة

العملاء كذلك قيم مقدسة. وكثير من الناس نسوا هذه القيم فوقعوا في المعاصي، وفي أحابيل الشيطان، سواء الشيطان الأكبر (ابليس) أو الشيطان الأصغر (الطاغوت).

* * *

خامساً: ظهور الحواجز والعقبات المصطنعة في طريق تقدم الانسان، وعروجه الروحي.

لقد جعل اللّه الانسان سلماً للعروج فيه، ثم وفر له كل الظروف لكي يرتقيه، إلّا أن هنالك من يمنع الانسان من العروج والارتقاء، وهو يشكل حاجزاً خطيراً في طريق سعادته.

هذا الحاجز هو من يمنع الانسان من أن يقرأ الكتب، أو يسمع صوت الاسلام، أو يلقي كلمة في احتفال. وهو الطاغوت.

إن الطاغوت يمنع الناس من أن يصبحوا كباراً في الحياة أو يلتزموا بالقيم الانسانية، ويقوموا بالعمل الاسلامي. فهو يريد لهم أن يعيشوا كما هو باحثين عن اللذة الخسيسة، والشهوات الدنيئة، والرغبات الماجنة، لكي ينسوا قضاياهم المصيرية، أما كيف يفعل الطاغوت ذلك، فعبر اقامة الأصنام في طريق الانسان. وكل ما يمنع الانسان من العروج.. هو صنم لابد من تحطيمه. وهذا الصنم قد يتمثل في شخص، أو في مجلة، أو جريدة، أو كتاب، أو فيلم، أو ما شابه ذلك.

فالمجلات التي تغـذي الشهوات بـدل تغذيـة العقل، هي أصنـام الجنس، والجريمـة. والكتب التي تثـير الفتن، هي كتب المتفـرنجـين الـذين تجـري في عـروقهم أفكـار المستعمـرين وخرافاتهم.

وتلك هي أحابيل الطاغوت.. ألا نـرىٰ أن كل بلد ابتـلي بحـاكم ظـالم. منعت فيـه كتب الاسـلام، بينـما يسمـح فيهـا لأشرطة الموسيقىٰ الغربية، بينما شريط المحاضرة الدينية جريمة، والكتاب الاسلامي جريمة، والفيلم الذي يتحدث عن الثورات الاسلامية وما أشبه جريمة أيضاً.

* * *

قد يسأل سائل: ما هي مهمة المؤمنـين تجاه الـذين ينسون ربهم واليوم الآخر؟

ونجيب:

ان مهمتهم هي تذكيرهم باللّٰه وبالآخرة وبيوم الحساب.

يقول القرآن الكريم في تبيانه لمهمة النبي:

﴿فذكر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمسيطر﴾.

كما أن مهمة الأنبياء كانت توضح قيم السـماء للناس لكي يمشوا في ظلها بعدالة «ويعلمهم الكتـاب والحكمة» وتعليمهم الحكمة، هي تبيان سنن اللّٰه في الحياة.

* * *

وبكلمة نقول:

إن للجاهلية والتي تحكم العالم اليوم، مظاهر كثيرة ومتنوعة، وهي وان كانت تلف الأرض كلها، ولكنها قابلة للانقشاع بشرط أن توفر أمورا ثلاثة.

الأول: قيام المسلمين الواعين بواجبهم الرسالي في ايقاظ الشعوب وان يتحملوا دور الأنبياء.

الثاني: الاستعداد من قبل طلائع الأمة، لتحمل واجبات الجهاد والتضحية.

الثالث: العمل في ظل كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.



٢
رسالة المسلم . .
وسقوط الامبراطوريتين

- بسمه تعالى -

قال اللّه العظيم في كتابه الكريم :

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق. ليظهره على الدين كله ولو كره المشكرون يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله. وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾

صدق الله العلي العظيم

لـــم تكن الجاهلية ـ الأولى ـ التي بعث اللّه نبيه محمداً ﷺ ـ للقضاء عليها ـ متمثلة في وأد البنات وعبادة الأصنام وغيرهـا من الـذنـوب الفـرديـة فحسب وانمـا كـانت متمثلة في النـظام الاجتمـاعي، والسيـاسي الـذي كـان سـائـداً في كـل من الامبراطوريتين الفارسية والرومانية أيضاً:

ولم يبعث الله نبيه الكريم، لكي يمنع الناس من الموبقات الفـرديـة أوهـدهـا، بـل بعثـه في الـدرجـة الأولى لكي يخلص الانسان من عبادة الانسـان، ويضع عنـه اصره والاغـلال التي كانت عليه كذلك.

ولأن معصيـة الله في ظل هـاتين الامبـراطـوريتـين كـانت تتمثل في القضايـا الكلية التي تمس حيـاة الناس جميعـاً أكثر ممـا كانت تتمثل في الجزيرة العربية في قضايا جزئية تمس حياة الفرد وحـده فـإن الاسـلام جاء مبشـراً بـالخـلاص من النـظام الامبـراطـوري في فـارس وأرض الـروم. حتى قبـل أن يبشر بالخلاص من النظام القبلي الحاكم في مكة.

فقـد ورد في كتب السيرة، انـه بينما كـان سلمان الفـارسي يحفر ـ يوم الخندق في الساحـة التي حددهـا رسول اللّه لـه فإذا بصخرة بيضاء قد اعترضته، فجاء الى رسول اللّه وأخبره بذلك فـأقبـل النبي وهبط بنفسـه الى الخنـدق وأخـذ المعـول من يـد سلمان وضرب الصخرة ضربة صدعتها وخرج منها بريق أضاء المكـان. فكبر رسـول اللّه ـ ﷺ ـ وكبر معـه المسلمون، فقـال

رسول اللّه لقد أضاءت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبرني جبرائيل بأن أمتي ظاهرة عليها.

ثم ضرب - ﷺ - مرة أخرى الصخرة فتصدعت وخرج منها مثل نفس البريق الأول، فكبر ثانية وكبر معه المسلمون فقال:

- لقد أضاءت لي قصور الحمر من أرض الروم، وأخبرني جبرائيل بأن أمتي ظاهرة عليها.

ثم ضربها ثالثة فانكسرت، وخرج منها مثل البريق الأول، فقال - ﷺ -:

- لقد أضاءت لي قصور صنعاء، وأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهرة عليها:

فاستبشر المسلمون بذلك.

ومن هنا فإن معجزة الاسلام، لا تتبلور في الانتصار على كفار قريش، بقدر ما تتبلور في اسقاط النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي كان قائماً في هاتين الأمبراطوريتين..

ولقد استمرت ثورة الاسلام بمنع قيام الامبراطوريات ذات الأنظمة الجاهلية ونجحت في ذلك فترة تزيد على الألف عام، حتى جاءت الجاهلية الحديثة فأعادت نظام الامبراطوريات الى حيز الوجود من جديد..

فـما هي الامبراطـوريات الجـاهلية المعـاصرة؟ وكيف يجب مقـاومتها؟ والجـواب ان العالم اليـوم يخضع لنـظام دولي تحتكـر خيراته كل من الولايات المتحدة الامريكية، والاتحاد السوفيـاتي ـ وهـذا النـظام الـدولي يقسم الكـرة الأرضيـة، بمـا فيهـا من الامكـانيـات البشـريـة والـطبيعيـة، والمـاديـة ـ بـين هـاتـين الامبراطوريتين بحيث لا يسمح في ظل هذا النظام، بأن تعيش أية دولة خارج فلك واحدة منهما:

فلو أن دولـة حـاولت الخـروج من فلك الامبـراطـوريـة الأمريكية. فلابد أن تحمي الامبـراطوريـة السوفيـاتية والعكس بـالعكس، والا فإن الامبـراطوريتـان تتعـاونـان بقـوة للقضـاء عليها:

وهذا ما يجعل قوة الأرض حكرة عليها، وهو السبب وراء تحـولهما الى قـوتين عـظيمتين تمتلكتـان طاقـات وامكانـات غـير محدودة تقريباً:

وقد يسأل سائل:

كيف قامت هاتان الامبراطوريتان؟

لا شـك أن هـنـاك عـوامـل تـؤدي عـادة الى قيـام الامبـراطوريـات في التـاريـخ وهي نفسهـا السبب وراء قيـام الامبـراطوريتـين الموجـودتـين في عـالمنـا اليـوم. ومن جملة تلك الأسباب، وجود ثورة في مناطق الامبراطوريات.

فالامبراطورية الأمريكية قامت بفعل قوة الدفع في ثورة الاستقلال الأمريكية التي أطاحت بالاحتلال البريطاني، ورفعت لواء الحرية للشعوب الأمريكية، وقاومت التطلّع النازي للسيطرة على الأرض.

والامبراطورية الروسية قامت هي الأخرى بفعل قوة الدفع في ثورة التحرر الروسية ولذا أطاحت بالنظام القيصري، وأقامت النظام الجمهوري، في اتحاد الجمهوريات السوفييتية.

ولقد كانت قوة الثورة، هذه بمنزلة الروح في هاتين الامبراطوريتين، الا أننا وبعد مرور فترة من الزمن نعاصر اليوم مرحلة احتضار وموت هاتين الامبراطوريتين، فهما في حالة موت حضاري بكل مقاييس الحضارة. وربما لا تعترف كل من روسيا، والولايات المتحدة، بأنها على وشك الانتهاء وربما تستمر فترة احتضارهما فترة طويلة من الزمن اذ كما أن ولادة الامبراطوريات تستغرق ردحاً من الزمن، كذلك فإن احتضارها ومن ثم موتها يحتاج الى فترة زمنية قد تطول.

* * *

ولكي نعرف حضارياً، ما معنى موت امبراطورية، أو ولادة ثورة، دعنا نضرب مثلاً بالأرض الميتة. إن الأرض الميتة ليست هي التي تعترف بالموت، بل نحن نحكم عليها بذلك بسبب آثار موجودة عليها. يتمثل ذلك في: ان تأخذ ولا تعطي وتستهلك، دون ان تنتج، فالأرض الميتة هي العاجزة عن

احداث التغيير في الطبيعة، وفي نفسها ولا تجدي اذا ماتت الأرض اذا وضعت لافتات، تسترعي الانتباه بأن هذه الأرض حية جداً، في الوقت الذي هي تأخذ مياه الأمطار، وأشعة الشمس، وتستهلكها، من دون أن تنتج ثمراً، ومن دون أن تحدث تغيير في ذاتها، أو في الأجواء المحيطة بها.

وكما في الأرض الميتة، كذلك الحال بالنسبة للامبراطوريتين، الروسية والأمريكية في عصرنا هذا، فهما ميتتان، لا تنتجان ثمراً، أي أن جذور الثورة، ومصدر الاشعاع والبقاء والحياة، قد ماتت فيهما، وهما الآن تعيشان على التراث فيهما.

* * *

نعود فنقول:

ان الثورة انتهت في الامبراطوريتين الحاليتين، وعلامات ذلك واضحة، حيث لا جديد لديهما من الناحية الثقافية والفكرية، والاجتماعية ونحن نتساءل:

هل أنتج الاتحاد السوفياتي مفكرين جدد ـ حتى في المجالات التي يؤمن بها؟ ربما لو كنا نجد في كل يوم ماركساً أو لينيناً جديداً، في الاتحاد السوفياتي، لكنا نقول أن الامبراطورية الروسية تنتج من الناحية الثقافية والفكرية شيئاً ـ الا أن كل ما نجده في الاتحاد السوفياتي، وما ينشره في العالم، هو اجترار وتكرار لأفكار ماركس ولينين التي ما أنزل اللّه بها من سلطان

فهم يطبعونها كتباً بالملايين، توزع في كافة أنحاء العالم وبأرخص الأثمان الا أنه لا توجد أفكار أخرى سوى حكومة تدعي أنها حكومة بروليتارية في الوقت الذي يشكل الحكام فيها طبقة برجوازية، متمايزة عن الشعب الروسي، فلا ثقافتهم مطبقة ولا انتاج جديد لديهم وكذلك الحال في الغرب. فما الذي أنتجه الغرب في الجانب الفكري؟

ان آخر ما أنتجه الغرب، كان صوراً في الفكر ليس الا وهو جان بول سارتر صاحب مبدأ الوجودية وآخر عمالقة الفكر في الغرب. بل أن الغرب بدأ ينتج العكس، ويعطي جائزة نوبل لكل من استطاع أن يثبت أن الأفكار السائدة سابقاً هي أفكار خاطئة، من امثال الكسيس كارل ذلك المفكر البريطاني الذي حصل على جائزة نوبل لأنه كان من أكبر المنتقدين للأفكار السائدة في الحضارة الغربية.

هذا ومن ناحية أخرى فإن المبدأ الأخلاقي لا يحكم في الغرب أو الشرق اطلاقاً، انما هنالك ذوق الجمال فحسب..

انك حينما تنزل الغرب، ترى جمالاً، اناقة في كافة المرافق الا أنه لا وجود للمبدأ الأخلاقي هناك على الاطلاق والدليل على ذلك هو تراكم الامكانيات الحضارية، من دون قاعدة أخلاقية وهذا ما يسبب الطبقية، وفساد الأخلاق والميوعة الخ...

انهم في الغرب يصنعون حمامات السباحة للكلاب،

وتوضع حسابات طائلة في البنوك للقطط، في الوقت الذي يموت فيه ألوف الناس من الجوع في أفريقيا والهند وجنوب شرق آسيا.

وحينما تكون هنالك امبراطورية قائمة على عدم الايمان بالمبدأ الأخلاقي وتكرس الذوق فقط وتنشغل بالأناقة، وتظلم العالم وتحتكر الثروات، فإن هذه الامبراطورية لن تستمر لأنها تحمل بداخلها عوامل فنائها، لأن الأخلاق حق، وأساس متين للحضارات كل حضارة لا تقوم - بأي شكل من الأشكال - على الفراغ أو على الهواء، وانما تقوم على رسالة وأخلاق وعطاء.

هذا من جهة اليمين أما من جهة اليسار، وشبابنا كانوا يلتفون حوله بسبب شعاراته البراقة المصاغة بأساليب معسولة، وكلها كانت تتظاهر بأنها تريد انقاذهم ولكن الأمر لم يكن الا عمالة للاتحاد السوفياتي.

ونحن اليوم لا نجد، رسالة للعالم الاشتراكي، كما لا نجد للولايات المتحدة الأمريكية رسالة، بل انهم لا يمتلكون رسالة، حتى بالنسبة لمناطق نفوذهما، فقد فقدوا رسالتهم حينما تحولوا الى دول تبحث عن مصالح طبقات حاكمة ليس الا..

ويجدر بنا أن نورد نصاً من كتاب ظهر مؤخراً لرئيس تحرير جريدة اللوموند الفرنسية، ينتقد فيه الحضارتين بصريح العبارة «زال الأباطرة في العالم وبقيت الامبراطوريتان تتعايشان في

الحقل الدولي دون أن يجمع بينهما الود. كانت أزمة الصواريخ في كوبا تحولاً في علاقاتهما، وجاء احتلال أفغانستان ليشكل تحولاً آخر، دون أن تتغير - في الواقع. طريقة هذه العلاقات ».

« إن هاتين الامبراطوريتين تزعمان أنهما تمتلكان وصفة للسعادة البشرية، وهي وصفة قد عفا عليها الزمن، الا أن الامبراطوريتين تمتدان الى مساحة شاسعة من الأرض، والى امكانات مادية هائلة، وبصورة خاصة انهما تمتلكان الوسائل لتدمير الانسانية، وبالتالي فهما مستعدتان لاشقاء العالم وتدميره، في سبيل مصالحها.

إن وسائل التدمير هذه، هي التي جعلت الامبراطوريتين تمتنعان حتى اليوم عن اعتداء الواحدة على الأخرى، ويعني ذلك أن في وجود كل امبراطورية، تهديداً موجهاً اليها من الامبراطورية الأخرى أو ما يسميه كيسنجر بـ : توازن الرعب وما تملكانه من أسلحة للدمار.

ولو أن كل امبراطورية تعرف أنها بدأت الاعتداء على الثانية، فإنها أيضاً ستدفع الثمن باهظاً، وربما اعتدت منذ زمن مضى ولانتهت البشرية من زمن خلا، وهذا الاعتداء الذي يجعل المقدم عليه منتحراً، وما دامت الامبراطوريتان مضطرتين الى التعايش والامتناع عن التحارب الدموي المباشر فقد أصبحتا - بالجبر - ومتنافستين في تعاون استراتيجي، وتنافس تكتيكي وتقاسم لمناطق النفوذ، ولكن مع الاتفاق على أن لا

يصل الصراع بينهما الى الخط الأحمر، واستعمال الأسلحة النووية الفتاكة. وكلما اتفقتا على أمر، اعتقدنا أن التضامن قد غلب على المنافسين فنتحدث عن التعايش والوفاق، وكلما فرقتهما أزمة معينة قلنا إن الانفراج الدولي وهم... ونأخذ مقياس الجهد الذي تبذله كل امبراطورية، استعدادا للحرب، ونتساءل عما اذا كانت هذه الحرب محتمة على الامبراطوريتين في النهاية وبانتظار ما يمكن أن يحدث، فإنهما تستنفذان قوتيهما في المنافسة، وفي مقاومة التيارات الداخلية التي ترهقها فالامبراطورية السوفياتية فقدت التحامها منذ أن اتهمها ماوتسي تونغ بخيانة المثل العليا للاشتراكية، والدولية العمالية والعمل على السيطرة الأنانية.

وعندما أحست أمريكا وروسيا أن زعاميتهما على الأنصار والمؤيدين والأتباع، أمستا موضع شك أو رفض، أخذتا تناديان برص الصفوف، وضرورة التضامن بين أبناء العقيدة الواحدة، حيث نادت واشنطن الأوروبيين ونادت موسكو الكتلة الشيوعية، وكانت بولونيا آخر المنقضين على السيطرة الحمراء وهي قيد المعالجة للرضوخ.

لكن التاريخ علمنا أن الامبراطوريات تبدأ بالامتداد الى الخارج كلما بدأت تعاني منَ مشاكل داخلية، وهذا ما حدث بالنسبة لامبراطوريتي القرن العشرين، مع العلم بأن ما تربحانه هاتان الامبراطوريتان في التوسع تخسرانه لجهة التلاحم الداخلي.

ونورد أيضاً ـ احصائية، للتدليل على مدى افلاس الامبراطوريتين في عملية التحول بعد صرف الأموال الطائلة على التسلح أي الهدم لا البناء في العالم حسب آخر الاحصائيات، أكثر من خمس مائة مليون عاطل عن العمل، وأكثر من ثمان مائة مليون جائع وهنالك الى جانب ذلك اتفاق على التسلح، يبلغ أكثر من ٥٠٠ ألف مليون دولاراً في السنة، أي أكثر من مليون دولار في الدقيقة الواحدة، الأمر الذي يضاعف من خطورة المشكلة الاقتصادية في العالم، ويزيد من حدة خطورة المشكلة الاقتصادية فيه، ويعرض البشرية كلها مع كل الانجازات التي حققتها على مدى التاريخ لخطر التدمير والابادة، وكانت هذه الاحصائية مقدمة لوثيقة أعدتها الأمانة العامة للأمم المتحدة لتكون أحد عناصر المحادثات التي كان يؤمل ان تجري بين الشرق والغرب، خلال الصيف، سواء في مؤتمر قمة بين رئيسي الدولتين العظيمتين أو في اجتماعات رسمية موسعة في الأمم المتحدة وجاء أيضاً في هذه الوثيقة:

«المثير للمخاوف أنه يوجد الآن في ترسانات العالم خمسين ألف قطعة سلاح نووي، تصل الطاقة التفجيرية لها مجتمعة ـ الى ما يعادل أكثر من مليون ضعف قنبلة هيروشيما. وهذه الكمية تمثل ثلاثة أطنان من مادة تي. أن . تي الانفجارية لكل رجل وامرأة وطفل على وجه هذه الكرة الأرضية وهذه الكمية تكفي لقتل انسان واحد خمسة آلاف مرة.

ولقد حدد ريغان ميزانية للتسلح والانفاق الأمـريكي لعام (١٩٨٣) ومبلغها ٢٢٢ مليار دولار.

فلماذا كل هذه الأموال الطائلة التي تنفق على التسلح؟!

يمكننا أن نقول: أن امبراطورية تبيت الدمار للبشرية، هي امبراطورية تستهلك نفسها بنفسها أما عن طريق التسلح، وأما عن طريق الفساد، أو عن طريق كليهما.

ولا ننسى أن الفساد في حد ذاته ـ عامل خطير من عـوامل القضاء على الامبراطوريات وسقوطها، على مر التاريخ.

فما الذي دمر قوم النبي لوط (ع)، غير الفساد؟

يقول القرآن الكريم:

﴿لما جاءت رسلنـا لوطـا سيء بهم وضاق بهم ذرعـاً وقال هذا يوم عصيب. وجـاءه قومـه يهرعـون إليه ومن قبـل كانـوا يعملون السيئات، قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا اللّه ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيـد. قالـوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد. قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن رشيد. قـالوا يـا لوط إنـا رسول ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقـطع من الليل ولا يلتفت منكم أحـد إلاّ امرأتـك انه مصيبهـا ما أصـابهم أن مـوعـدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود. مسومة عند ربك، ما هي من الظالمين ببعيد﴾.

وما الذي دمر عاداً وثمود وفرعون وغيرهم من طغاة التاريخ، غير الفساد والطغيان؟

يقول القرآن الكريم:

والفجر وليال عشر. والشفع والوتر والليل إذ يسر هل في ذلك قسم لذي حجر. ألم تر كيف فعل ربك بعاد. أرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ـ وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد.

***

ويجدر أن نورد كلمة قالها الرئيس الأمريكي السابق نيكسون قبل فترة طويلة، وهي شهادة دامغة، من أحد قادة الامبراطورية الأمريكية، على خطورة الفساد على هذه الحضارة، يقول نيكسون.

إن الذي يقضي على الولايات المتحدة الأمريكية، ليس الاتحاد السوفياتي، وانما هو فساد شبابنا.

***

وهكذا فإن الانسان في الشرق والغرب فقد رسالته، ولأنه فقدها، فإنه لا ينتج للبشرية بل يستهلك وهو اما يريد أن يمتلك أكثر من الانسان والأرض، وإما أن يستهلك نفسه في الانفاق، والإنسان في ظل هذه الامبراطوريات لا يحمل

رسالة لأخيه الانسان ينطلق لتحقيقها على وجه هذه الأرض لقد كانوا في السابق يحسون بشيء عن الرسالة، حتى أن بريطانيا كانت طيلة فترة من الزمن، تربي أولادها على أساس الاستعمار، أي (العمارة).

وكان الطفل البريطاني، يولد وأبواه يربيانه على أساس أن له رسالة لابد أن يؤديها فالطفل كان يشعر بأنه يحمل رسالة ـ بقطع النظر عن سلامة هذه الرسالة أو فسادها.

أما الآن فمن في الغرب يشعر بأنه يحمل رسالة؟

وما هي رسالتهم، ان وجدت؟

وألم تصبح رسالتهم، للكلاب والقطط وكل حيوان معرض للانقراض؟!

وأين الرسالة التي يحملها الشيوعيون؟

أليسوا يدورون في حلقة أفكار ماركس ولينين الوضعية المفرغة التي أكل عليها الدهر وشرب ويحاولون أن يظهروها بصورة النظرية الحديثة المتكاملة.

إن أي أمريكي أو روسي. لا يحس اليوم بأنه يحمل رسالة الى العالم، وكل ما تفعله الحكومتان في واشنطن وموسكو، هو الحفاظ على المواقع الموجودة، اما في داخل الامبراطوريتين نفسها، وأما في مناطق نفوذهما، وهذا كل ما يطمحون اليه اليوم.

وها هي الولايات المتحدة تقول اليوم: إن مصالحنا في خطر ويعني ذلك ان كل ما تصبوا اليه الولايات المتحدة، هو أن تحافظ على مصالحها، أما الرسالة فانتهت وولت، بل حتى الحديث عنها قد انتهى.

ولأن رسالة الدولتين العظميين تتلخص اليوم بالحفاظ على المصالح ونهب الفقراء انقسم العالم الى عالم الفقراء وعالم الأغنياء أي عالم الآكلين وعالم المأكولين.

لقد سألت ذات مرة سفير دولة عربية، عاش فترة ثمان سنوات في الصين. فقلت له ما هي أبرز ظاهرة رأيتها، وجلبت انتباهك في الصين؟

فأجابني قائلاً:

إن أبرز ظاهرة رأيتها في الصين ان الانسان لا ارادة له هناك، ولا أقول الانسان الفرد، فقد يحكم على ثمانية ملايين انسان، بأن ينتقلوا من منطقة الى أخرى تبعد خمسين ألف كيلو متراً، ويشتغلون هناك لمدة عشرة أعوام، أو خمسة عشرة عاماً، وقد يحكم على الزوج بأن ينتقل الى مكان، وعلى الزوجة ان تنتقل الى مكان آخر، لمدة عشرين عاماً!!

* * *

ان ميزان العدالة في العالم مختل اليوم، ولا يمكن لهذا الوضع أن يستمر الى مالا نهاية، ولابد من تصحيحه. ولنضرب لذلك مثلاً:

فلو أن رجلاً دخل على مجموعة بقوة، وفرض عليها نفسه، فإن هذه المجموعة قد تسكت، أو قد لا تعرف كيف تقاومه، ولكن نتيجة الأمر، أنها ستفكر في طريقة لمقاومته والقضاء عليه واذا كان البعض يتساهل تجاه هذا الوضع فإن عدالة الله لا تفعل ذلك.

وكما يقول الحديث الشريف:

فالحكم مع الكفر يدوم ومع الظلم لا يدوم.

وقد تسأل: لماذا؟

والجواب:

لأن هذه البشرية، تعيش في هذا الواقع، وهي تحس بالغبن، وهي لن تستطيع البقاء ـ بأي شكل من الأشكال ـ على هذا الحال.

ومن دلائل حالة الاحتضار التي تعيشها الامبراطوريتين القائميتن، ان أفكار الكتلة الشيوعية لا تغني ولا تسمن من جوع، وحتى اليسار باتوا لا يقرأون اليوم كتب ماركس ولينين وانجل ومن لف لفهم، لأن هذه الكتب وضعية، عفا عليها الزمن، وأصبحت عتيقة وقديمة، لا تملأ جوع الانسان الفكري والعقائدي أبداً.

ونقول ذلك لا لأننا نختلف مع اليسار جذرياً فحسب وانما لأن هذا هو الحقيقة والواقع.

ان كتب اليسار تعطى بالجبر لليساريين حتى يقرأونها، ولكن اليساري اليوم يبحث عن كتاب اسلامي - سرأ - يأخذه الى غرفة نومه ويطالعه، بعيداً عن عيون الرقباء!

وكذلك الحال في الولايات المتحدة الأمريكية، فلقد أصبحت الثقافة الغربية لا تغني الناس ولا تشبع نهمهم الفكري.

أما في العالم الاسلامي فهنالك شعور عميق لدى المسلم بأن يحمل للعالم رسالة الانقاذ، والحالة الروحية لا زالت باقية، وستبقى كذلك الى آخر الزمان.

يكفي أن ما قاله الاسلام قبل أكثر من ألف عام، يلاقي تفاعلاً عظيماً في النفوس، واحصاء الصائمين في شهر رمضان يبلغ نصف مليار انسان يفرضون على أنفسهم وبمحض اختيارهم الجوع والعطش، والابتعاد عن لذات الحياة خلال النهار، في الوقت الذي لا يوجد شيوعي واحد مستعد أن يفعل ذلك من أجل مبادىء ماركس ولينين وفي الوقت الذي لا يوجد غربي مستعد أن يفعل ذلك من أجل سواد عين سارتر بل، الكل في الامبراطوريتين، يبحث عن المصلحة والمنفعة الشخصية.

ان الزخم الروحي في البلاد الاسلامية هو نتيجة التفاعل بين الرسالة الالهية والنفوس المؤمنة.. وهذا هو معنى الرسالة، ومظهر من مظاهرها؟

ومن هنا فإن كل واحد من المسلمين اليوم يشعر بأنه يحمل مسؤولية ابلاغ رسالته للعالم، الرسالة تتعدى قريته ومدينته، لكي تشمل الامبراطورية الروسية، والامبراطورية الأمريكية وما تحت نفوذها من الدول أيضاً.

ولا شك أن هناك بعض النواقص. وسنشير اليها، الا اننا اليوم بدأنا نشعر بالقلق والخوف والأمل بمعانيها الإيجابية، وهذه بداية طيبة. وبدأنا ندخل حالات روحية متعاقبة، من المقاومة وتحمل الآلام وتقديم الشهداء وكلها تنبىء بولادة جديدة لهذه الأمة: فكلها دليل صحة..

أليس من مظاهر الولادة في الأرض الاهتزاز والارتفاع والتحول لقول ربنا تعالىٰ: ﴿**فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج**﴾. وأليست المرأة في حالة الولادة، تشعر بقلق، ولكنه قلق مزدوج بالأمل والخوف والتطلع أيضاً وأليس الطفل يولد قلقاً باكياً، وصرخته دليل صحة وسلامة؟

هكذا نحن اليوم.. وليست صرخاتنا في أعماق سجون الطغاة في كل الدول الاسلامية وفي المظاهرات الدموية في القدس في لبنان، والعراق والخليج وأفغانستان والمغرب الاسلامي ومصر الا دليلاً علىٰ الولادة الاسلامية المنتصرة.

فأمة لا تقلق ولا ترغب، ولا ترجو، ولا تخاف، هي أمة ميتة.

والأمة الاسلامية بدأت تنتفض بكل تلك المعاني، الايجابية للقلق والرغبة والرجاء والخوف.

* * *

ان القرآن الكريم يتحدث في عدة آيات مختلفة عن سقوط الامبراطوريات مبشراً بانتصار الاسلام عليها قائلاً: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون**﴾.

وحين نزول هذه الآيات كانت الامبراطورية الرومية في عز شبابها، وفي أوج عظمتها كما كانت الامبراطورية الفارسية كذلك أيضاً، ولكننا رأينا كيف تحققت سنة اللّه هذه وانهزمت الامبراطوريتان في ذلك الوقت.

وهكذا يكرر القرآن هذا المفهوم الذي أطلقه بصدد سقوط الحضارات الظالمة، وانتصار الاسلام عليها، باعتبار أنها سنة الهية متكررة، وليس باعتبارها حادثة يتيمة في التاريخ..

فما كان يهدد الامبراطوريتين في السابق يهدد الامبراطوريتين الموجودتين في عالمنا اليوم أيضاً.

وهنا سؤال يفرض نفسه وهو: ترى على يد من تسقط الامبراطوريات؟؟

والجواب:

إن الطليعة الاسلامية المستعدة لأن تتحمل اثقال هذه

الرسالة، وهي مكمن تهديد للامبراطوريات التي ينخر فيها السوس مهما يدب الظلم قليلة العدد والامبراطوريات قوية البنية ولكي نحقق هذا الهدف العظيم لابد أن نصحح رؤيتنا الخاطئة سابقاً عن الحياة، حيث كانت سابقاً أما مصابة بالغرور واما بتحقير الذات، وكان المسلمون يتحولون من حالة الغرور الى حالة الاحتقار، أو من حالة الاحتقار الى حالة الغرور.

ومن هنا فإن من الضروري أن نفهم أولاً ما نمتلك من امكانيات، وأن نقوم بعد ذلك باستغلال تلك الامكانيات في الواقع العملي لأن الانسان - أساساً - له جانبان فله جانب امكانياته الذاتية وله جانب كفاءاته الاجتماعية ولكي نفهم ذلك بطريقة أوضح نقول إن الناس متساوون عادة في الامكانيات الذاتية، لكنهم متفاوتون في الكفاءة الاجتماعية، والفاعلية والانتاج، وتلك هي القيمة الحضارية.

إذن فالذي يفرق بين الناس في الواقع الخارجي، هو فاعلية الفرد، فهناك فرد متحرك، بمعنى أن له انتاجاً حضارياً وهناك فرد آخر غير متحرك، وليس له أي انتاج حضاري.

والتاريخ عبارة عن نتاج التفاعل بين الأفكار المحركة والأفراد المتحركين، ويمكن أن نعرف التاريخ بأنه شيخ عجوز، لا يسجل الا الأفكار المحركة، والأفراد المتحركين.

ونحن كمسلمين نمتلك الأفكار المحركة، المتمثلة في القرآن

الحكيم والسنة النبوية الكريمة ويبقى الأفراد المتحركون.. وهو ما نفقده اليوم.

وبكلمة فإن المسلمين يمتلكون ـ بالاسلام ـ الصلاحية ويبقى عليهم ان يثبتوا صلاحيتهم، واثبات صلاحيتهم يعني أن يتفاعل المسلمون مع كل جوانب الاسلام، وان يتحركوا في اطاره.

وهكذا هو الانسان، صلاحه بما خلق اللّه فيه من امكانات، لكن صلاحياته بما يثبته في الواقع الخارجي. كما أن الموارد الموجودة في باطن الأرض لا تعني شيئاً ما دامت مجرد موجودة اذ أنها بحاجة الى استخراج. وبناء على هذه الحقيقة لابد لكي تعود الينا عزتنا. ونؤدي رسالتنا في الحياة. من تحقيق الأمور التالية..

أولاً:

إننا نحتاج الى تغيير في الرؤى، اذ أن فهمنا لكثير من الآيات القرآنية، والتاريخ الاسلامي فهم خاطىء وهو نابع من واقعنا السيء أي أننا نفهم القرآن ونفسره. بما يتلائم مع وضعنا العام.. ومن هنا فإننا نفهم الاسلام كتبرير لوضعنا.. ومن هنا فإنه لا يدفعنا الى تغيير هذا الوضع.. ونحن في ذلك لنشبه ذلك التاجر الذي يمتلك ثروة طائلة، ولكنه لا يريد أن يبذل ماله ولذلك فانه يحفظ الروايات والأحاديث التي تحبذ

الثروة، واذا جاءه فقير أو محتاج، فإنه يمطره بوابل من الروايات والأحاديث التي تتحدث عن الفقر وتحبيذه.

* * *

وقد يتساءل الانسان لماذ نغير الرؤية؟

ونجيب على ذلك بما يلي:

ان من الضروري علينا أن لا نعالج قضايانا سطحياً، بل نعالج الأسباب والجذور لا النتائج.

لقد تدخلت « اسرائيل » وغزت لبنان، شردت ما لا يقل عن ست مائة ألف لبناني، وقتلت ما لا يقل عن أربعة عشر ألف ودمرت قرى ومدناً كثيرة فكيف عالجنا ذلك؟ ان هذه ظاهرة لها أسبابها وجذورها وعلاجها ليس بتبادل برقيات التهديد، وشحن سفن من القلق!

بل بدراستها على ضوء سنن اللّه، وآيات القرآن، ودروس التاريخ.

* * *

يضرب أحد المفكرين مثالاً جيداً حول الموضوع فيقول:

لقد بدأ المرحوم « جمال الدين الأفغاني » نهضته في عام ١٨٥٨ م، وبدأت اليابان نهضتها بعده بعشر سنوات، أي في عام ١٨٦٨ م فكيف ان اليابان انتجت كل هذه المنتجات الصناعية، ونحن لا زلنا نحتاج الى الغرب، حتى في صناعة

الابرة، والسبب في ذلك أن اليابانيين أصبحوا تلاميذ المدنية التي انبهروا بها، وأصبحنا نحن الزبون لهذه المدنية.

فالياباني كان يرى السيارات في شوارع الغرب.

ولم يكن يستورد الورد، بينما كان يفتش عن تلك الروح التي صنعت هذه الصناعة وكان يبحث عن التعاون الذي صنع السيارة وغيرها من المنتجات الصناعية..

بينما نحن كنا نستورد الورد، وبعض الحكام « كان يفكر أن يستورد جبلاً من الثلج، لكي يكتب عنه التاريخ ان صاحب « السمو الملكي » قد استورد جبلاً من الثلج، من القطب المتجمد الجنوبي، أو من القطب المتجمد الشمالي الى بلاد تبلغ درجة الحرارة فيها خمسين في الظل.

وبينما كان العالم يفتح عصر الفضاء كنا نفتح عصر الكاديلاك والروس رايس!

ومن هنا فإن رؤيتنا للمدنية القائمة. خاطئة هي الأخرى كما هي رؤيتنا لتاريخنا ومبادئنا وقيمنا وبالتالي فإننا نعالج الأمور بمضاداتها، فإذا مرض الواحد منا بالحمى، يذهب تحت الماء البارد، بينما علاجه قد يكون بزرق نفس الميكروب المسبب له كما يفعل الطب الوقائي ذلك.

ثانياً:

لابد أن يشعر كل واحد منا بأنه يتحمل في هذه الدنيا

رسالة وعليه أن يبلغها لكل الناس في الأرض فإذا شعر فينا التاجر، والشاب، والمرأة، والعامل وكل الفئات بثقل الرسالة، فإن بامكاننا أن نصنع ثورة كونية.

وعليه فإن من الضروري أن يشعر كل واحد منا أن القرآن ليس رسالة الماضين منا فحسب بل هو رسالة المؤمنين به اينما كانوا أيضاً وأن يشعر بأنه ما دامت الامبراطوريتان تعيشان حالة الاحتضار، فإنه هو الذي يحمل الراية اليوم، وأن ذلك يترتب منه أن يقوي ارادته، وأن يغير ما بنفسه من كسل وخوف وخجل وما الى ذلك من الرواسب النفسية التي خلفتها فيه عهود التخلف والتبعية.

إننا نستطيع بإرادة واعية أن نقهر الخوف والجبن في تحمل رسالتنا الكونية كما نستطيع أن نتحمل الجوع والعطش في شهر رمضان بارادة واعية في تحملنا لرسالتنا العبادية واذا كانت الارادة تتدخل في أمر مادي مائة بالمائة. لتمنع البطن من الشعور بالجوع، والكبد من الشعور بالعطش، فإن باستطاعتنا أن نطرد الخوف والقلق، والحالات الأخرى السلبية التي علقت بنا من عهود التخلف.

ثالثاً:

إننا أمام المدنية القائمة اليوم يجب أن نعمل وفق المقياس التالي:

«لا انهيار ولا تحقير».

فلا يجوز أن نعشقها ونعبدها، كما لا يجـوز أن نغضِ النظر عنها ولا نعترف بها فقد يجلس شخص ويقول:

لا قوة للولايات المتحدة الأميركية، أو للاتحاد السوفياتي.

ونحن نقول:

كلا!

ان للولايات المتحدة قوة يجب أن نحسب لها ألف حسـاب كما للاتحاد السوفياتي فلا يحق لنا ـ موضوعياً أن نلغي وجـودهما ذهنياً ولا يحق لنا أيضاً ـ بشكل مقابل أن ننجذب الى فلكيهما، بل لابد أن نحسب لهما بدقة ونتعرف على نقاط ضعفهما أيضاً.

ففي الوقت الذي باستطاعة كل منهما تدمير الكرة الأرضية عـدة مرات، فـإن نقاط الضعف فيهـما كثيـرة وأهمهـا ثغـراتهـا الداخلية، وخوائها المعنوي والروحي.

رابعاً:

أن يفجر كل واحد منا امكانياته وطاقاته.

إن في كل انسان طاقات لا حدود لها كما يقول الامـام علي (ع) في البيت المنسوب اليه:

أتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

فـلابـد أن نصنـع الأجـواء التي تسمـح بتفجيـر طـاقـات

الأفراد، وصبها في قناة الثورة الكونية الكبرى ولا يجوز الاستهانة بقدرات أي فرد من أفراد الأمة، وطاقاته.

خامساً:

ان نعمل أممياً.. وان نزرع الخير في كل مكان..

إن الاستعمار مزق امتنا شر ممزق فحول الدولة الواحدة الى عشرات الدول.. الا أن هذا التمزيق الجغرافي، تحول الى «تمزق» بشري وهو ما استهدفه الاستعمار حيث أصبحنا ننظر الى بعضنا كغرباء.. وهذا ما يجب أن يتغير.

إننا يجب أن نعمل عملياً على توحيد اللحمة بين أبناء الأمة الواحدة، ويجب أن يكون تفكيرنا عالمياً كما أرسل رسول اللّه ﷺ **﴿وما أرسلناك إلّا كافة للناس﴾**.

كما يجب أن نعمل على طريقة الزراع، فنذكر الناس جميعاً ونقول كلمتنا للعالمين، من دون أن ننتظر وراءها لتأتي لنا بأية مصلحة..

فكما أن الزارع ينثر الحبوب ويمشي، كذلك علينا أن نقول ما علينا، ونمشي.. فاللّه عز وجل هو الذي يثمن ما نقول: **﴿مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾**.

صدق اللّه العلي العظيم



٣

رسالة المسلم . .

إنقاذ العالم

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قال اللَّه العظيم في كتابه الكريم :

﴿وكـذلك جعلنـا لكل نبي عـدواً شياطـين الأنس والجن يـوحي بعضهم لبعض زخرف القـول غـروراً، ولـو شـاء اللَّه ربـك ما فعلوه فـذرهم ومـا يفتـرون، وان تـطع أكـثر من في الأرض يضلوك عن سبيـل اللَّه، أن يتبعون إلاّ الـظن وان هـم إلاّ يخرصون﴾

لماذا نقدم الشهداء تلو الشهداء؟ والى متى؟

لماذا تمتلأ السجون بالمعتقلين؟

لماذا تشهد بلادنا كل يوم هجرات جماعية من المؤمنين؟

ثم لماذا نبحث عن آيات الجهاد، بدل البحث عن آيات الصلح؟.

أليس من الأفضل أن نضع أيدينا في أيدي الحكام، لنتفرغ للتنمية، والبناء، وزراعة البساتين، وتربيه الدواجن؟

أليس من الأفضل أن نستبدل العنف باللين؟ والسيف بالورد؟ وأصوات الرصاص بالأهازيج؟.

ألا يكفي ما تحملناه من سجون، وارهاب، ودماء؟

تساؤلات كثيرة تدور في الأفق، خاصة وأن الثورة تزداد اتساعاً وانتشاراً يوماً بعد يوم، وقد لا تلوح في الأفق تباشير انتصار سريع.

وقد تبدو بعض هذه التساؤلات معقولة، إذا نظرنا الى تطلعات الأفراد الشخصية بعين الاعتبار، فنحن ـ كبشر ـ لا نحب منظر الدماء!.

ونحن عقلاء أيضاً نعرف جيداً أننا اذا وضعنا أيدينا في أيدي الحكام فإنه لن يلفنا السجن، ولا نضطر الى الهجرة ولا نتعرض لأي ضغط.

ونحن ـ أيضاً ـ نعرف الطريق جيداً الى « مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح »، ونعرف مصلحتنا الشخصية، شأننا شأن أولئك الذين باعوا أنفسهم للشيطان. فارتاحوا في هذه الدنيا بضعة أيام ثم انقلبوا الى نار جهنم وبئس المصير.

إلا أن هناك قضية خطيرة وأساسية وهي أن المسلم يحمل على كتفه رسالة السماء، والله قيضه لكي يكون شاهداً على هذه الأمم، بتحمله لهذه الرسالة.

يقول تعالى:

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾.

والشاهد حينما يسلط الأضواء على ما يجري في هذه الأرض، ما الذي يجد؟ وما الذي يرىٰ؟.

لو كنا ـ حينما ننظر بعين البصيرة الى الأرض ـ نرىٰ سلاماً، ودعة، وأخوة وصفاء، لربما لم نكن نثور على شيء في هذه الحياة، ولربما لم نكن نجد طاغوتا نقاومه. ولكن حينما ننظر الى الأرض، نرىٰ وحوشاً كاسرة، تتحكم في الأمم، وطغاة ابتليت بهم الأمة الاسلامية، فإذا بهم يمتصون دماء الناس والأبرياء.

وبعد ذلك:

فهل يجوز لنا أن نسكت؟

وهل تسمح لنا ضمائرنا أن نستعرض كل مآسي البشرية ولا نفعل شيئاً تجاه ذلك؟

ولنفترض أن اللّه ـ عز وجل ـ لم يكلفنا بتحمل آلام الناس، ولم يحملنا رسالته الى البشرية، التي قال عنها الامام علي (ع):

« واعلموا أنكم مسؤولون حتى عن بقاع الأرض وبهائمها ».

ألا يكفي أن نرجع الى ضمائرنا؟؟

ننظر الى هذه الغابة التي تسمىٰ بالكرة الأرضية، ولننظر الى هذين النظامين الوحشيين (الشرق والغرب) على هذه الكرة، كيف يتحكمان في مصائر البشر، فلا يسمحان لأي انسان أن يشذ عن الطوق الذي فرضاه على البشرية فلا يسمحان لأحد بالشذ عنهما.

ان طوق الجبارين لابد أن يشملك، فلا مانع لديهما أن تنفلت من أحضان الولايات المتحدة الأمريكية، بشرط أن ترمي بنفسك في أحضان السوفيات، والعكس بالعكس.

أما أن تقول: ربي اللّه « ولا إله إلا اللّه »، « واللّه أكبر »، وأن ترفض أن تعبد غيره، وأن ترفع شعار « لا شرقية ولا غربية »، فآنئذ يتفق الشرق والغرب على إسقاطك!

وهذا ما يعمل له الشرق والغرب.

ترى هل يمكننا أن نرى كل ذلك ونسكت؟!

* * *

ثم.. أليست الأنظمة السائدة اليوم. هي أنظمة الغاب؟

وهل أن اللّه خلقنا لكي نعيش في غابات، أم أننا بشر ومن حقنا وواجبنا ومسؤوليتنا، أن نجاهد ونكافح، وأن ندفع ضريبة الدم، لكي نتخلص من النظام الذي يتحكم في مصير البشرية، والذي يسمونه «الشرعية الدولية.» أو القانون الدولي، وما أشبه ذلك؟

نحن نتساءل:

أين كان القانون الدولي حينما استعمل أصدقاء الشرق، الأسلحة الكيميائية ضد المقاتلين المسلمين!.

وأين كان القانون الدولي. حينما كانت البارجة الحربية «نيو جرسي»، ترمي على القرى في جبال لبنان، القذائف التي تزن الواحدة منها (١/٢٠٠) كغم من المواد المتفجرة؟!.

حتى تبدو وكأنها أصيبت بالخرس. ولكن حينما يقتل جندي أمريكي مثلاً يقيمون الدنيا ولا يقعدونها!.

إنّ ما يسمىٰ بالقانون الدولي لا يحمي الضعيف. والشرعية

الحاكمة هي شرعية الغاب، وليست أي شيء آخر، فمن لا يمتلك أنياباً يذبح ثم يؤكل، ولا تتحرك أي جهة تدعي الالتزام بالقانون الدولي، لترديد كلمة واحدة عنه!.

من هنا واذا كنا نحترم أنفسنا وضمائرنا، فلابد لنا أن نثور، لنبتعد عن السياسة الدولية، ولكي نتوجه الى قضايانا الاجتماعية والاقتصادية والانمائية، ومن دون الاستقلال لا يمكن أن نكسب احترام أحد لارادتنا.

* * *

ثم لنرىٰ ما يجري الآن في الدول التي تتبجح بأنها تفكر في الآخرين وتلتزم بالقانون الدولي، الشرعية الدولية؟ تقول الاحصائيات.

إن صافي الثروات الخاصة، أي العائد للأفراد والشركات في الولايات المتحدة، تعادل نحو ١١ تريليون دولار، أي رقم ١١ مسبوقاً باثني عشر صفراً على اليمين، ويعادل ذلك نحو ٥٠ ألف دولار للشخص الواحد، أي ٢٠٠ ألف دولار للعائلة المكونة من أربعة أشخاص.

ان هذه الثروة الطائلة التي يملكها الأميركيون (عدا ما تملكه الحكومة المركزية، وحكومات الولايات والبلديات) تعادل مجموع الانتاج المحلي الاجمالي في أميركا لمدة أربع سنوات. وبعبارة أخرى فان المجتمع الأميركي كان يملك في ليلة رأس السنة الماضية، ما يعادل انتاج أربع سنوات كاملة مدخرات متراكمة.

واذا أخذنا قطاع العائلات بالـذات، فإننـا نجد أن الأسر الأميركية تملك فيما بينها ١١/٢ تريليون دولار، أي ألف مليـار دولار.

وتتكون موجـودات الحكومـة الأميركيـة من أرصدة نقـدية تبلغ ١٧/٢ مليار دولار، وديون وقروض وضرائب وسلف على الغير يبلغ ٢٦٧/٣ مليار دولار، ومواد مختلفة مخزونة في حـدود ١٢٤/٥ مليار دولار، ومعدات وتجهيـزات وأبنية وأراضي تبلغ بعد الاستهلاك ٢٦٣/٣ مليـار دولار، تضمنها أسـاطيل جـوية وبحرية وبرية ومعدات عسكرية تبلغ قيمة شـرائها ٢٤٥ مليـار دولار.

أمـا التزامـات الحكومـة الأميركيـة فتشمل ٩١٨/٨ مليـار دولار، قيمـة الدين العـام من الجمهور، وأكـثر الباقي يشكـل التزامات تجاه الضمان الاجتماعي، والبرامج المختلفة، بشكـل رواتب تقاعد وتأمين وبطالة وشيخوخة.

والى جانب هذه الثروات الطائلة ـ لـدى الأمريكيـين ينظر المسلم الى أفريقيا وأميركا اللاتينية، ليجد أن الولايـات المتحدة الأميـركيـة تـأتي في طليعـة المستخـدمـين لـلأطفـال في أعمـال السخرة، حيث يعمل ما يزيد على ٨٠٠ ألف طفـل لمدة ١٠ أو ١٢ ساعة يومياً كعمال في المزراع وهـذا يشكل ثلـث العـاملين في المزراع الأميركية!.

وفي البلدان التي تسير في الطريق الرأسمالي للتنمية. يموت

سنوياً ١٧ مليون طفل تقريباً، من سوء التغذية والجوع والأمراض التي لها علاقة باستنزاف طاقاتهم، في الوقت الذي تحرق الولايات المتحدة ملايين الأطنان من القمح خشية انخفاض أسعاره!.

وبعيداً عن أروقة السياسة فماذ نجد في هذا العالم، وبالتحديد في الولايات المتحدة الأميركية.

« لقد تم افتتاح أول فندق من نوعه، وهو للكلاب فقط!!

حجرة الكلب في الفندق المذكور تحتوي ـ ضمن محتوياتها ـ على جهاز هاتف يمكن لصاحب الكلب، وهو في أي مكان كان.. أن يخاطب كلبه العزيز من خلاله!!

وتحتوي الحجرة أيضاً ـ إضافة الى ما تحتويه من أشياء مرفهة ـ على جهاز ستريو يبث الموسيقى الخفيفة من أجل راحة أعصاب الكلب الكريم »!.

وأحدث الاحصائيات تقول:

« إن الولايات المتحدة تنفق ثمانية مليارات دولار، على تربية الكلاب والقطط، والحيوانات الأليفة »!.

« وفي أميركا وحدها يوجد ٩٢ مليون كلب وقط.. وميزانية مركز العناية بالحيوانات الأليفة تصل ملياري دولار »!.

وماذا عن شريعة الغاب في فرنسا؟

تجيب وكالة الصحافة الفرنسية على ذلك قائلة:

« للمرة الأولىٰ في التاريخ العالمي للمسرح، عرضت في باريس مسرحية خصصت للكلاب، هي اقتباس حر لنص يوناني، للشاعر المأساوي « ايشيل »، الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وأشرفت عليها فرقة تدعىٰ « الوحدة والرفقة »، أوضحت أن الهدف من المسرحية هو، جعل الثقافة في متناول هؤلاء « المجرمين »، أي الكلاب البالغ عددها في فرنسا سبعة ملايين! وقد أفسحت الفرقة في مجال الدخول أمام كل الكلاب « من دون أي تمييز عنصري »!، وكان الاقبال شديداً، حتى أن خمسة كلاب وصلت متأخرة، اضطرت الى البقاء خارج الساحة، حيث عرضت المسرحية »!!.

ومن جهة أخرىٰ:

« أشارت احصاءات منظمة العمل الدولية الى أن حوالي ٥٧ الى ١٠٠ مليون طفل في العالم، يجبرون على العمل، ويعيشون في حالة فقر تام، ورغم الجهود المبذولة فإن ١٧ مليون طفل يلقون حتفهم كل عام »!.

ويوضح تقرير لمنظمة اليونسيف أن توظيف مبلغ يتراوح ما بين ٧ و ٨ بلايين دولار بصورة طارئة، وتنفيذ بعض المشاريع الهامة في الدول النامية، يمكن أن يؤديا الى إنقاذ ٣٠ ألف طفل كل سنة، وهذا المبلغ لا يضاهي شيئاً من النفقات الضخمة على الفساد الخلقي ».

هذا ما يحدث في الدول التي تسمىٰ « حضارية »، حيث

يعتبـر الكلب الأميـركي، والقط الفـرنسي أشـرف من البشر في القارة الأفريقية!.

من هنا يحق لنا أن نتساءل:

لماذا لا نثور؟

وأي عقـل يمنعنا من أن نـرفع صـرخـة الغضب في وجـوه هؤلاء؟

ومـا الذي يمنعنـا من أن نطالب ـ ليس بحقـوق المسلمـين والمؤمنين فقط ـ وإنما بحقوق البشر جميعاً أينما كانوا؟

إن هؤلاءـ أصحاب حضارة الكلاب والقطط ـ هم الـذين يحكمون على الكرة الأرضية، وهم الـذين يعينون لنـا في البلاد الاسلامية عملائهم، وكل واحـد منهم يحاول أن يثبت لأسيـاده بـأنه أكـثر عمالـة وارتماء في أحضـان الأسياد لكي يحـافظ عـلى عرضه، وكل واحد منهم يريد أن يقدم الشهادة ـ بشكـل أقوىٰ ـ بذبح أبناء بلده، وانفاق ثروات البلاد عـلى ملذات الغربيـين والشـرقيـين. . وكـل زعيم منهم يحـاول أن يتقـرب الى كـلاب الغرب وقططه أكثر من غيره، ويرفه عنها عبر الضغط عى أبناء شعبه!.

وإذا كان المؤمن يعيش في وضع كهذا، ترىٰ هـل يستطيـع أن يسكت على ذلك؟

* * *

وماذا عن الوضع في بريطانيا؟

تقـول بعض الإحصائيات الصـادرة عن وزارة الـداخليـة البريطانية.

« إن ما يقارب من ٩٠٠٠ جريمة تقـع كل يـوم في انجلترا وويلز، وقد ازدادت الجرائم في العام الماضي بنسبة ١٠٪ بالمائة عما كانت عليه في عام ١٩٨١.

وفي نشرة احصائية أصدرتها وزارة الداخلية البريطانية تبين أن جميـع فئات الجـرائم قد زاد عـددها. فقـد ارتفعت جـرائم القتـل بواقـع ١١ بالمـائة، إذ وقعت ٦٣ جـريمة قتـل زيادة عن الجرائم التي وقعت في عام ١٩٨١ والتي بلغت ٦١٩ جريمة.

وفيما يلي المتوسط اليومي والـزيادة المئـوية التي حـدثت عما كـانت عليه في عـام ١٩٨١ (وقـد وضعت هـذه الـزيـادة بـين قوسين):

- الاعتداء الجنسي ٥٣ حالة (٢٪)
- السرقة ٦٢ حالة (١٣٪)
- التدليس والتزوير ١١٤٤ حالة (١٠٪).
- السطو ليلاً ٢٢٠٠ حالة (١٢٪)
- اتلاف جنائي ٦٦٧ حالة (٨٪)
- السرقة وتناول المشروبات ٤٨١٠ (١٠٪).
- ارتكاب أعمال العنف ضد الأشخاص ٢٩٧ (٣٪).

وقـد بلغ مجمـوع عـدد الجـرائم التي ارتكبت في العـام

٣,٢٦٢,٤٠٠ : كما دلت هذه الاحصائية التي نشرتها وزارة الداخلية على وقوع العديد من الجرائم التي لم يبلغ عنها.

وحسب التقديرات تبين أن الشرطة قد بلّغت فقط بنصف عدد حالات السطو ليلاً ».

ولقد ارتفع عدد الجرائم التي وقعت عن طريق استخدام السلاح ٨٤٠٠ حالة (بزيادة ٤ بالمائة).

كما استخدم السلاح في حالة واحدة من كل عشر حالات سرقة.

وتبين من حوادث القتل أن ١١ حالة قد نجمت عن القيام بأعمال إرهابية و٤٧ قد نجمت عن السرقة و١٨ عن حالات الحريق الجنائي وأن ٦ من رجال الشرطة قد ماتوا خلال تأديتهم لواجباتهم.

وتبين لجميع المحاكم وجود مليوني مذنب، وأن الشرطة وجهت تحذيراً لـ ١٦٠ ألف شخص معظمهم من الأحداث والإناث.. وتبين من هذين الرقمين الإجماليين وجود ٥٨٦ ألف شخص كانوا عرضة للاتهام والمقاضاة وذلك بزيادة ٣ بالمائة عن عام ١٩٨١، وهو أعلى رقم سجل حتى الآن، وتمثلت الزيادة الأساسية في هذه الفئة في حالات تعاطي المخدرات التي زادت نسبتها بما يقرب من ١٢ بالمائة، والسرقة بنسبة ٦ بالمائة، وبيع المسروقات بنسبة ٤ بالمائة، وارتكاب أعمال العنف ضد الأشخاص بنسبة ٣ بالمائة.

ولقد مثل أمام المحاكم ما مجموعه ٢,٢٠٠,٠٠٠ شخص من مختلف الأعمار، كما صدر ٤٧٦,٠٠٠ حكماً قضى معظمها بدفع غرامات، وارتفع عدد المساجين الى ما يقرب من ٥٠,٠٠٠ شخص بزيادة ٤٠٠ شخص!.

أما في أمريكا فتقول الاحصائيات:

يولد يومياً ١٢٨٢ طفلاً سفاحاً «يشكلون فيها بعدد قوات البحرية الأمريكية (المارينز)».

وفي كل يوم ٢٧٤٠ مراهقة تحمل حملاً غير شرعياً.

ويقع ١,٩٨٦ طلاق.

و ١٩,١٧٨,٠٠٠ بالغ يأخذ حقنة مخدرة، ويشربون ٩٠ مليون كأس بيرة.

واغتصاب كل ٨ دقائق.

وقتل كل ٢٧ دقيقة.

وحادث تشليح كل ٧٨ ثانية.

وخلع وكسر كل ١٠ ثوان.

وسرقة سيارة كل ٣٣ ثانية.

وبعد استعراض هذه الاحصائيات عن الوضع في العالم الغربي، وهو نقطة صغيرة من البحر، ألسنا نتحمل رسالة لانقاذه، من أنفسهم؟

وأليس من واجبنا أن نعلن لهم أن حكامهم يعانون من حالة الطفولة، ولابد أن نفرض قيماً عليهم؟.

وحينما نجد أن تاريخ المؤمن ورسالته ومستقبله في خطر، أليس من واجبنا أن نقوم بغزوهم في عقر دارهم أيضاً؟.

ونعود مرة أخرىٰ الى تلك التساؤلات لنقول عنه:

بمقدار ما تكون الجريمة أكبر وأشمل تكون مسؤولية المسلم أعظم على هذه الأرض ليس على مستوىٰ قطر دون آخر، وليس على مستوىٰ البقعة الأرضية التي يسكنها المسلمون فقط، وإنما على مستوىٰ الكرة الأرضية بأسرها.

إن من مسؤولية المسلم اليوم أن ينهض ليخط على الأرض خطاً وسطاً، كما أراد اللّٰه له ذلك لكي ينقذ البشرية جمعاء من كماشة الشرق والغرب.

يقول «غونتراغراس» أحد قادة الغضب ضد الأسلحة النووية في أوروبا الغربية، والكاتب الألماني الغربي الذي اتسمت أعماله بالبحث الحضاري عن الحقيقة الانسانية، من أجل هدف يعتبره جوهرياً، وهو التغيير، وصاحب الكلمة الشهيرة «اسحبوا الصلاحيات، كل الصلاحيات من الشيطان».

يقول:

«الذين يتحررون من الولايات المتحدة سرعان ما يعودون

الى الوقوع في السلة الأمريكية. فالمؤسسة قد تهادن لفترة ما لكنها ليست مستعدة أبداً للتنازل إلا اذا حصل هناك شكل ما من أشكال المقايضة. وكما نعرف الآن فإن الامبراطورية الأميركية، والامبراطورية السوفياتية تقومان الآن بدور من يريد أن يرث السماء.

أجل أن الحرية الانسانية مهددة، ويجب أن نذهب الى ما هو أبعد من الاعتراض.

لا أستبعد ـ والكلام لغونتراغراس ـ أن يثور العالم في وجه الأميركيين والسوفيات. انهما يقتلوننا ثم يبيعوننا جثثاً. لكنني أتوقع حدثاً لا يقل أهمية. فثمة تململ قد يصل الى حد العصيان داخل الولايات المتحدة، وكذلك داخل الاتحاد السوفياتي. ان المثقفين هنا بدأوا يتحدثون عن سقوط الامبراطوريات لصالح الانسان».

ومن أجل أن نخلص الانسان، وننقذه من وضعه المتردي لابد أن نثور. فهذه مسؤولية الاسلاميين قبل غيرهم، فهم الأقرب الى اللّه، ولابد من إنقاذ عباده، من ظلمات الجاهلية، وعسف الجاهلين..